المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة

دور الإسلام في بناء الحضارة الإنسانية

إعداد
أ.د/ بـــدر المـــاص
الأمين العام المساعد للمجلس
الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ... فمن رحمة الله تعالى أن ختم الرسالات برسالة خير البشر فهي أكمل رسالة وأصدقها وأصلحها لكل زمان ومكان.

فدعوة الإسلام أصل الحضارة الإنسانية لما فيها من دعوة للخير والصلاح والسمو الأخلاقي والعلاقات الرفيعة والمعاني السامية.

إن الحضارة الإسلامية لعبت دورا كبيرا في التاريخ الإنساني وتركت بصمتها على العديد من مجالات الحياة اليومية وأثرت تأثيرا عظيما على الإنسان والحيوان والنبات.

وقد تميزت الإسلامية بمميزات وخصائص انفردت بها عن الحضارات الأخرى، وهذه الخصائص والمميزات هي سر نجاحها وبقائها واستمرارها عبر العصور المختلفة.

لذلك يشرفني أن أشارك بهذه الورقة في مؤتمر الدوحة الثالث لحوار الأديان سنة ٢٠٠٥ في قطر شاكراً ومقدراً كل القائمين على عقد هذا اللقاء وأخص بالذكر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة قطر.

سائلاً المولى العلي القدير التوفيق والنجاح للمؤتمر وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

إعداد
الأمين العام المساعد للمجلس
الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة
أ.د/ بدر عبد الرزاق الماص

مبادئ الإسلام في بناء الحضارة الإنسانية:–

فإن الحضارة الإسلامية قد لعبت دوراً كبيرا في التاريخ الإنساني وتركت بصماتها على العديد من مجالات الحياة اليومية وأثرت تأثيرا عظيما على الإنسانية جميعا، وأفادت إفادات جبارة عن طريق التجارة والثقافة الإسلامية، وذلك لأن الإسلام يحمل بين جنباته كل مقومات الحياة الكريمة الفاضلة والمعاني النبيلة الفياضة والمشاعر العظيمة التي تملأ كل المجتمعات بالحب والأمن والأمان والاستقرار..

ولعل من أبرز سمات الدين الإسلامي تلك المقومات الحضارية التي أثرت في أتباعه حتى جعلتهم يبنوا حضارتهم الإسلامية على هذه المقومات وتتمثل:

أولاً: وجوب إيمان المسلم بكل الرسل السابقين:

فقد فرض الله على المسلمين الإيمان بالرسل جميعا دون تفرقة بينهم، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى ((قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)) سورة البقرة ٣٦. ويقول سبحانه ((يأيها الذين آمنوا.. آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا))، سورة النساء ١٣٦، ويقول تعالى: ((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله)) البقرة ٢٨٥..

واعتبر الإسلام الإيمان ببعض الأنبياء دون بعض خروجا عن دين الله وهديه. ((إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا)) سورة النساء ١٥٠-١٥١..

كما اعتبر الإسلام أن من يكذب بواحد من رسل الله يكون مرتكبا لجريمة التكذيب بهم جميعا، لأن الكل بناة بيت واحد يمهد السابق منهم للاحق، ويبني اللاحق على أساس السابق وأخذ عليهم في ذلك العهد والميثاق ((وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)) الأحزاب ٧.

ثانياً: الإسلام يحث على السلم والسلام:

وأساس ذلك قول الله تعالى: ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين)) سورة الممتحنة ٨، وقوله تعالى: ((وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله أنه هو السميع العليم)) سورة الأنفال ٦١، وقوله تعالى ((يأيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان أنه لكم عدو مبين)) البقرة ٢٨٠..

وممارسة هذه القاعدة في العلاقات مع غير المسلمين في وقت السلم موجودة في ظل حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي صحيح البخاري:
((عن عروة عن أسماء قالت: ((قدمت أمي وهي مشركة في – عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم مع– ابنها فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم ((فقلت: أن أمي قدمت وهي راغبة؟ قال: نعم صِلي أمك))..

ومما يدل أيضا على الدعوة للسلام والسلم، قوله صلى الله عليه وسلم: ((البر حسن الخلق))، ويقول أيضا ((افشوا السلام بينكم))، والإسلام أنما حث على السلام لأنه يحطم مؤامرات الشيطان ويؤلف القلوب ويوجهها إلى العمل المثمر المفيد، وهو في نفس الوقت ينبذ العنف والظلم والاستبداد ويرفضها لأنها أمور ضد الطبيعة والفطرة الإنسانية، ولأنها لا تؤلف القلوب بل تنفرها..

ولعل أوضح مثال يدل على أن الإسلام قام أول ما قام على التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في أول عهده بالمدينة المنورة وأثناء إقامته للأسس المهمة لدولة الإسلام الأولى وبعد مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار فقد قام بوضع نظام سياسي لتحقيق وحدة يثرب بالاتفاق مع اليهود على أساس متين من الحرية والتحالف، هذا العمل السياسي العظيم يتمثل في عقد معاهدة صداقة وتحالف وتقرير لحرية الاعتقاد بينه وبينهم..

وهذه المعاهدة تعتبر بحق من الوثائق السياسية الجديرة بالإعجاب على مر التاريخ، وهذا التطور من حياة الرسول لم يسبق إليه وهاك الجزء الخاص بما يدل على ذلك:
((بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وحل معهم، وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس..

وأنه من تبعنا من اليهود فإن له النصر المعروف والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادامو محاربين وأن يهود بني عوف ومواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه يوتغ (لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته..

وتدل هذه البنود على عدة أمور:

__أولاً__: كانت هذه المعاهدة بلسما لجراحات المجتمع المدني، وعالجت الطبقات ودعت إلى نصرة المظلوم ورعاية الحقوق، وحرية التدين، وألغت ما يعرف بالطبقية والعنصرية بتقرير المساواة في الحقوق والديات، وذلك لإتمام مرحلة التطور الصاعد ليعيش الجميع لأنفسهم ولغيرهم من الناس..

__ثانياً__: بمقتضى هذه الوثيقة يصير اليهود الذين يقيمون بيثرب رعية واحدة، فلا تكون لهم أحكام خاصة بهم لا تسري على غيرهم، ولا يختصون بنظم لا تنطبق على غيرهم، وذلك مع الاحتفاظ بدينهم، تراعى فيه حرمة العقيدة، وألا يكون لأحد عليهم سبيل فيها، وأن عليهم حكم الله تعالى: وللنبي صلى الله عليه وسلم ألا يحكم بينهم إذا وجد مصلحة، وبين هذا قوله تعالى في شأنهم: ((فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وأن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وأن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين)) المائدة ٤٢، وان هذا يدل على أنهم كانوا خاضعين فيما يتعلق بالنظام العام كحرمة الدماء، والظلم، ولكن شئونهم الخاصة لا يحكم النبي صلى الله عليه وسلم فيها بينهم إلا إذا جاءوا إليه، فله أن يحكم وله أن يعرض.

__ثالثاً__: أن الحلف يوجب أن يكون عدو النبي صلى الله عليه وسلم عدو لليهود فلا يجيرون قريشا، ولا من ينصر قريشا، وذلك لأن الميثاق يجعل أهل المدينة المنورة مسلمين ويهود أهل ولاء واحد، عدوهم واحد، ومناصرتهم واحدة، وبذلك يكون أمن الجميع واحدا، فمن هاجم فريقا من أهل المدنية هاجم المدينة كلها.

__رابعاً__: ألزمت هذه الوثيقة عناصر الأمة، المشاركة بالمال عند الحاجة إليه، لا فرق في ذلك بين مسلم ويهودي، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادامو محاربين، إذ اختلاف الدين لا يحول بين السلام الجماعي، مادام كل يؤدي ما يلتزم به، ولا يقف في وجه مسيرة الآخرين..

ثالثاً: الإسلام يحث على التعاون والتعارف والوئام..

فديننا الحنيف يحث على التعاون والتعارف والوئام بين المسلمين بعضهم ببعض وبينهم وبين غيرهم وقد جاءت النصوص العديدة، الدالة على ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ((يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)) الحجرات ١٣ ..

ففي هذه الآية الكريمة يهتف الحق جلت قدرته بالإنسانية جميعها على اختلاف أجناسها وألوانها، ليردها إلى أصل واحد وإلى ميزان واحد، ويطلعها على الغاية من جعله لهم شعوبا وقبائل، فهي ليست للتناحر والخصام، إنما هي للتعارف والوئام والتعاون والوصال، فأما اختلاف الالسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يفيد ذلك التكامل ليتم بعد ذلك التمازج والتعاون والوفاء بجميع الحاجات، وليس اللون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحدة تتحد به القيم ويعرف به فضل الناس ((أن أكرمكم عند الله اتقاكم))، والكريم حقا هو الكريم عند الله، وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذا القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون، ألوهية الله للجميع وخلقهم من أصل واحد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب))..

رابعاً: البر والعدل مع الإنسانية جميعاً:

يحث الإسلام على البر والعدل بين المسلمين وغيرهم، وذلك لأن الإسلام دين حب ووئام، يكره الحرب ويمقت الظلم والعدوان، ويسعى لجمع الناس تحت لواء واحد، أخوة متحابين متعارفين، لهذا جاء التوجيه الرباني، يدعو إلى الإحسان والبر والعدل إلى المسالمين الذين لم يحملوا على المسلمين سلاحا، ولم يعينوا عليهم عدوا وفي ذلك يقول تقدست أسماؤه ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)) سورة الممتحنة ٩، ويقول عزت قدرته ((وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)) الشورى ١٥، ويقول سبحانه وتعالى ((يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)) المائدة ٨..

ولقد تعجب من عدالة الإسلام الكثيرون في المشرق والمغرب، وقال أحد اليهود هذه أخلاق الأنبياء، وقال جعد بن هبيرة لعلي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان وأنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله والآخر لو استطاع أن يذبحك فتقضي لهذا على هذا فهز رأسه وقال: إنما ذلك شيء لله، وهو بهذا يحقق قول الله تعالى ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان)) النحل ٩٠..

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ((إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وماولوا)) رواه مسلم.

خامساً: السماحة والرحمة:

فالإسلام أكد على السماحة والرحمة وأكد أنه دين سمح ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل السور القرآنية كلها تبدأ بالبسملة ((بسم الله الرحمن الرحيم))، وقال تعالى ((لا إكراه في الدين)) البقرة ٢٥٦ ((ورحمتي وسعت كل شيء)) الأعراف ١٥٦..

ومما يدل على سماحة الإسلام أيضا ما يلي قوله تعالى ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) البقرة ١٨٥، وقوله: ((ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج)) المائدة ٦. وقوله ((يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا)) النساء ٢٨، ومن السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وابشروا)) رواه البخاري وقوله ((اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرق بهم فأرفق به)) رواه مسلم، وقوله ((إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على ما سواه)) رواه مسلم..

وقوله ((عليكم بالرفق، وإياك والعنف والفحش، إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانة، ولا ينزع من شيء إلا شانه)) رواه مسلم..

وقد طبق المسلمون هذا التسامح بينهم وبين غيرهم من غير المسلمين ولعل من أوضح الأمثلة في ذلك ما حدث من رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((حينما مرت به جنازة فقام لها، فقال بعض الصحابة، يا رسول الله: إنها جنازة يهودي، فقال صلوات الله عليه، أو ليست نفسا؟

وغير ذلك أمثلة كثيرة في التاريخ الإسلامي تدل على تسامح المسلمين مع غيرهم..

سادساً: احترام العهود والمواثيق:

فالإسلام يدعو إلى حقن الدماء وإنهاء الحروب، أو الموادعة والأمان قبل بدء الحرب وفي ذلك يشدد الله والنبي صلى الله عليه وسلم على احترام المواثيق يعطيها المسلمون على شريطة الإسلام، فقد قال تعالى ((يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)) المائدة١، وقال صلى الله عليه وسلم ((من يخفر ذمتي كنت خصمه)) رواه الطبراني بسند صحيح، وقال (منعني ربي أن أظلم معاهدا ولا غيره))، رواه الحاكم، وقال ((من أمَّن رجلا على دمه فقلته فأنا برئ من القاتل وإن كان المقتول كافرا)) رواه البخاري والنسائي..

ومن هنا فإن الإسلام شعت حضارته على العالم بما اتسمت به من عدل وتسامح وبر وعدل وغير ذلك..

وبالله التوفيق ،،،

إعـداد
أ.د/ بدر عبد الرزاق الماص
الأمين العام المساعد للمجلس
الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة